اغلاط العرب

(تابع لما في الجزء السابق)

وقال عمر بن ابي ربيعة

الا قل لهندٍ أَحرِجي وتأثَّمي ولا تقتليني لا يحلّ لكم دمي

اراد بأحرجي تحرَّجي اي تجنبي الحَرَج وهو الاثم يقال تحرَّج فلانٌ من كذا وتأَثَّم منهُ وتحوَّب كل ذلك بمعنًى ولا يقال بهذا المعنى احرج وانما يقال احرجهُ اذا اوقعهُ في الاثم وهو خلاف مرادهِ كما هو ظاهر . وقال ايضاً

فقالت وصدَّت ما تزال متيماً صَبُوباً بنجدٍ ذا هوًى متقسِّمِ

اراد بقولهِ صبوباً الوصف بالصبابة وهي رقة الهوى والشوق وانما يقال من هذا صَبٌّ بالفتح وتشديد الباء ولم يُسمَع صَبُوب . وفي هذه القصيدة

ولما التقينا بالثنية اومضت مخافة عين الكاشح المتنمِّمِ

اومضت اي اشارت بجفنها والكاشح الذي يضمر العداوة والمتنمم اراد بهِ النمّام ولم يُسمَع في كلامهم تنمم . ومن هذا القبيل قولهُ ايضاً

اخطا الربيع بلادهم فتيمنوا ولجبهم احببت كل يمانِ

المراد بالربيع هنا مطر الربيع وقولهُ تيمنوا يعني اتوا اليمن وانما يقال بهذا المعنى ايمن كما يقال اعرق وأنجد وأتهم ولا يقال تيمَّن كما لا يقال تعرَّق وتنجَّد . وقال نفيلة الاشجعيّ

تعدُّ لنا الليالي تحتصيها متى هو حائنٌ منا قدومُ

اراد تحصيها فاخرجهُ على افتعل وهو غير منقول . وقال الحارث بن حلّزة يصف ناقتهُ

فترى خلفها من الرجع والوقع منيناً كأنهُ اهباءُ

قولهُ من الرجع والوقع يريد رجع قوائمها ووقعها والمنين الغبار والاهباء قال التبريزي هو مصدر أهبى يهبي اهباءً اذا اثار التراب ومن روى أهباء بفتح الهمزة فانهُ يحتمل وجهين احدهما ان يكون قصَر الهباء ثم جمعهُ على أهباء لان الهباء الممدود يجمع على اهبية والثاني ان يكون جمع هبوة وهي الغبار . اه . قلنا اما قصر الممدود فهو مباحٌ للشاعر وهو من الضرورات المقبولة لانهُ من التغيير اليسير الذي لا تتنكر بهِ صورة اللفظة غير انهُ مشروطٌ بان تُستعمَل نفس اللفظة المقصورة لا أن تُصرَّف بجمع او غيرهِ ثم يُستعمَل ما صُرّف منها لان هذا التصريف يقتضي اخراج صورة القصر من كونها ضرورةً الى كونها لغةً . على ان صاحب القاموس اثبت جمع الهباء على أهباء بل لم يذكر لهُ جمعاً غيرهُ وكذلك فعل صاحب لسان العرب لكن زاد انهُ على غير قياس وقد مرّ لهم من مثل ذلك ما يغني عن الاطالة في هذا الموضع . وبقي هنا ما ذهب اليهِ التبريزي من احتمال كون الاهباء جمع هبوة وهو غريب من مثلهِ وما ندري كيف ينكر ان يكون جمعاً لهباء الممدود لمخالفتهِ القياس ثم يجعلهُ جمعاً لهبوة وهو ما لا يقع في قياس ولا نظير لهُ في السماع . وقال الحارث بعد ذلك

وطراقاً من خلفهنَّ طراقٌ ساقطاتٌ ألوت بها الصحراءُ

طراقاً معطوف على منيناً اي وترى لها طراقاً . قال التبريزي الطراق مطارقة نعال الابل وفي لسان العرب طارق النعلين خصف احداهما فوق الاخرى وكل خصيفةٍ طراق . اه . فالطراق اسمٌ للنعل فوق النعل من التسمية

بالمصدر فاستعملهُ الشاعر جمعاً . قال الزوزني الطراق يريد بهِ أطباق النعل يقول وترى خلفهـا اطباق نعلها في اماكن مختلفة الى آخر الشرح . ووجّه التبريزي الجمع هنا بانهُ على اعتبار ان المصدر يؤدى عن الواحد والجمع او على ان طراق جمع طراقة قال كما اجاز بعض النحويين سِيرَ بزيدٍ سَيْرٌ (اي بغير تخصيص) على ان يكون سير جمع سَيْرة (بالفتح) الى آخر ما قالهُ وكلهُ من التمحل البعيد وانما يجوز هذا في فلسفة النحويّ ولا يُتصور من بداهة البدويّ بل الذي عندنا ان الشاعر لو عُرض عليهِ هذا التخريج لم يرضهُ ولآثر نسبة الغلط اليهِ على ان يُنحَل مثل هذا الاغراق في المحال .

وقال الآخر انشدهُ التبريزي في شرح المعلقات ولم يعزُهُ

أزيد بن مصلوحٍ فلو غيركم جنى غفرنا وكانت من سجيتنا الغفرُ

قال زعم الكسآئي انهُ أنَّث كانت لانهُ اراد كانت سجيةٌ من سجايانا الغفر وقال الذي يخالفهُ بل بنى على المغفرة فانتهى الى آخر البيت والمغفرة لا تصلح لهُ فقال الغفر لان الغفر والمغفرة مصدران . اه . قلنا لو صح ما قالهُ الكسآئي لوجب ان يقول الغفرا بالنصب لانهُ جعل اسم كان محذوفاً وهو سجية فلم يبقَ الا ان يكون الغفر خبرها ولو رُفع الغفر على ان يكون هو اسم كان عادت المسئلة الى ما كانت عليهِ من تأنيث الفعل للمذكر ولم يصنع الكسآئي شيئاً . على ان في تقديرهِ هذا نظراً آخر وهو جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة وهذا لم يرد الا في بعض الابيات الشاذّة . وقول الذين خالفوهُ بعيدٌ بل في منتهى البعد لان البيت مبنيٌّ على القافية ومسوقٌ اليها فكيف يتوهم انهُ اراد المغفرة ثم وجدها لا تصلح للقافية فعدل الى

الغفر وهل المحال الا هذا وشبههُ . بل اذا لم يكن بدٌّ من التصحيح وتبرئة البدوي من الوهم فهناك وجهٌ اقرب واصحّ وهو ان نقول ان التآء من كانت مزيدةٌ من راوي البيت وان الشاعر انما قال كان لا كانت على ان الجزء مقبوض وهذا في اشعارهم اكثر من ان يُحصى . ومن هذا القبيل قول حجر بن خالد

غداة اتاهُ جبّارٌ بإدٍّ معضّلةٍ وحاد عن القتالِ

الإدّ الداهية والشدّة قالوا وأنّث وصفهُ لانهُ مرادفٌ للداهية وهي انثى او لانهُ يقال فيهِ إدّة ايضاً فكانهُ توهم التأنيث فيهِ . ومثلهُ قول الآخر

اتهجرُ بيتاً بالحجاز تلفعت بهِ الخوف والاعداء من كل جانبِ

واعتذروا عنهُ بانهُ ذهب بهِ الى المخافة فأنّث . وقول الآخر

يا ايها الراكب المزجي مطيتهُ سائل بني اسدٍ ما هذهِ الصوتُ

وقالوا ذهب بالصوت الى الاستغاثة فانثهُ . والامثلة من ذلك كثيرةٌ فلا نطيل بها والذي عندنا انهُ لو قيل في مثل هذا انهُ غلطٌ او تسامحٌ ساقت اليهِ الضرورة لكان اجمل من هذه الاعذار السخيفة والا فالمترادفات في اللغة كثيرة وقلما تجد مذكراً الا وتجد كلمةً مؤنثةً يصح ان تنزل في مكانهِ وكذا المؤنث فلم يبقَ في اللغة تذكيرٌ ولا تأنيث . وقال تأبط شرًّا

قليل التشكي للمهمّ يصيبهُ كثير الهوى شتّى النوى والمسالكِ

اراد شتّان النوى فحذف النون للضرورة كما قال في لسان العرب في قول جميل

اريد صلاحها وتريد قتلي وشتّاً بين قتلي والصلاحِ

لكنهُ رجع بعد ذلك فقال قال ابن جنّي شتّان وشتّى كسرعان وسكرى يعني

ان شتى ليس مؤنث شتان كسكران وسكرى وانما هما اسمان تواردا وتقابلا في عُرض اللغة من غير قصد ولا ايثار لتقاودهما . اه . وزاد في تاج العروس فعلى هذا قولهم في قول جميل اريد صلاحها وتريد قتلي البيت انهُ لضرورة الشعر محلّ تأمّل . اه . قلنا مقتضى قول ابن جني وما علق عليهِ صاحب تاج العروس ان شتّى مفرد مذكّر بمنزلة شتان وانك تقول شتّى ما بينهما كما تقول شتان ما بينهما ولا ندري كيف ذلك والذي عندنا ان شتّى جمع شتيت على حدّ جريح وجرحى لانهُ فعيل بمعنى مفعول وليس بمؤنث شتان كما ذهب اليهِ جمهورهم ولا هو مفرد مذكر كما يُستشفّ من قول ابن جني لانهُ يقال قومٌ شتّى واشيآء شتّى وفي الحديث يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتّى الى غير ذلك مما يدلّ دلالةً قاطعة على انهُ جمعٌ لا مفرد (ستأتي البقية)

الايمن والاعسر

المراد بالأيمن الذي يعمل بيمينهِ والأعسر خلافهُ وقد وقفنا على فصل لبعض علمآء منافع الاعضآء في بيان السبب في ذلك فاحببنا تعريبهُ لانهُ لا يخلو من فائدة وان خفي موضعهُ من الحقيقة لان مثل هذا البحث مما يصعب الوقوف على سرّهِ بما يتنزل منزلة اليقين ولكنا ننقل كلامهُ على علاّتهِ قال

اذا كان امامك درهمان على مائدة وكلاهما على بعدٍ متساوٍ منك واردت ان تتناول واحداً منهما فان كنت ايمن انقدت بالسليقة الى ان